خمسون عاماً من الشعر والأدب.. المدى الثقافي تحاور محمد جواد الغبان

زارت (المدى الثقافي) الشاعر محمد جواد الغبان في داره سعياً منها لاكتشاف معالم الرواد الذين أعطوا للإبداع الكثير والذين غيبت عنهم الأضواء لسنوات برغم أن أمثاله من "الأوائل" و"المضحين باستمرار" قد أعطوا الكثير للأدب والتعليم والصحافة لعقود. ومن يقلب سفر حياة الغبان يجد التالي: الغبان رئيس تحرير مجلة "الفكر" الثقافية الشهرية المحتجبة ومدير المدارس الثانوية الجعفرية لعشرين سنة وأكثر قبل غلقها من قبل السلطات وهو شاعر معروف قرأ له أكثر من جيل وباحث في مجال الأدب وأستاذ سابق في كلية اللغات وممثل رابطة الأدب الحديث القاهرية في العراق.
له أكثر من عشرين كتاباً بين مطبوع ومخطوط إذ صدر له في الشعر سبعة دواوين وفي النقد والدراسة أربعة إضافة لاثني عشر كتاباً مخطوطاً لم تصدر بعد.

الغبان: حركة الشعر الحديث بدأت بأبي نواس
لو كان السياب حياً لوقف ضد مدّعي الحداثة

ولد محمد جواد الغبان في النجف الأشرف عام ١٩٣٠ ونشأ وتربى في بيئة علمية أدبية فوالده هو سماحة الشيخ عبد الكاظم الغبان وخاله الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي عميد الرابطة الأدبية في النجف المعروف بعطائه الفقهي والثقافي وقد ظهرت أول قصيدة للغبان وهو ابن السادسة عشرة من العمر عام ١٩٤٦ على صفحات مجلة (الدليل) النجفية وأعيد نشرها في موسوعة (أعيان الشيعة) عام ١٩٤٧، درس الغبان علوم اللغة العربية وآدابها والفقه والأصول على يد العلماء الأعلام وفي مقدمتهم سماحة الشيخ محمد رضا المظفر وتخرج في كلية (منتدى النشر) عام ١٩٥٠ وأكمل في السبعينيات من القرن الماضي دراسته العليا في معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة وكان عميده الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري شيخ الجامع الأزهر فيما بعد.

عمل في الصحافة الأدبية عام ١٩٤٨ عضواً في أسرة تحرير مجلة (البذرة) النجفية وأصدر في بغداد عام ١٩٥٨ مجلة (الفكر) التي كان صاحب امتيازها ورئيس تحريرها والتي استمرت في الصدور حتى عام ١٩٦١ حيث توقفت بسبب الخسارة المادية التي لاحقتها وعدم دعمها من أية جهة سياسية أو ثقافية برغم احتضان المثقفين العراقيين لها وتوالي نشرهم فيها وفي مقدمتهم د. علي الوردي د. روز خدوري - نجيب محيي الدين - د. محمد سلمان حسن - د. طه باقر - د. صفاء خلوصي - عبد المجيد لطفي - باسم حمودي - مهدي عيسى الصقر وغيرهم كثير.

انتخب الغبان عضواً في الكثير من الجمعيات الثقافية منها جمعية منتدى النشر بالنجف والمجمع العلمي الثقافي بالنجف والرابطة الأدبية في النجف وفي القاهرة: رابطة الأدب الحديث وجماعة أبولو الجديدة وشارك في الكثير من المهرجانات الثقافية في بغداد والقاهرة والكويت وعمان وفاز ديوانه (أنت أحلى) بجائزة التفوق الشعري لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين سنة ١٩٩٠ وله مراسلات أدبية مع الكثير من الأدباء العرب.

أول ديوان له (الأمل) ١٩٥٣ وله أيضاً (وهج الشوق) ١٩٥٥ (المتنبي بعد ألف عام)١٩٨٤ و(أنت أحلى) ١٩٨٤ و(أنت أغلى) ١٩٩٨ و(من نفحات الإمامين علي والحسين) ٢٠٠٠ و (على مرفأ الجراح) ٢٠٠١ ومن مؤلفاته المطبوعة (جعفر بن أبي طالب) ١٩٥٤ و(على هامش السقيفة) ١٩٥٤ و(لمحات من حياة الشيخ اليعقوبي) ١٩٦٥ و(العروج في ملكوت المتنبي) ,٢٠٠٤

قلنا للغبان: إنت حياة عريضة حافلة بالكثير وقد عملت في الصحافة صغيراً فمن كان معك؟ قال: "اشتغلت في (البذرة) وأنا بعد يانع عام ١٩٤٨ وكان معي المرحومان صادق الغامدي ومحمد تقي الصحاف وهي مجلة أدبية مهمة كتب فيها الكثير من أبداء النجف وبغداد والبلدان العربية.

❖بعد ذلك؟

- أكملت الدراسة الجامعية في النجف والدراسات العليا في القاهرة.

❖في مكتبتك الكبيرة هذه التي في بيتك زادك الفكري ولكننا نجد فراشك أيضاً فماذا تقول؟

- هذه مكتبة سمينة لا غث فيها فكلها مراجع وموسوعات ودورات وقد زارها الشيخ جلال الحنفي يوماً كما يزورها الكثير من الأدباء وكتب عنها معجباً (ارجو من كل داخل إلى مكتبة الغبان أن يتوضأ ويدخل فلا يحق لأحد الدخول إليها إلا على طهارة) لذلك تجدني فيها بين كتبي وفراشي، أتعب من القراءة، والتدوين فأختلس راحة لي قد تدوم دقائق وقد تكون ساعة ثم أعود إلى منضدتي لاستمر ريادتي كما ترى بين منضدة الكتابة والسرير.

❖متى ألقيت أول قصيدة؟

- أول قصيدة ألقيتها عام ١٩٤٥ في النجف في رثاء السيد أبو الحسن وكان عمري ستة عشر عاماً وقد نشرت في مجلة (الدليل) عام ١٩٤٧ واقتبست في كتاب (أعيان الشيعة) ج٢٤، بعد ذلك عقد مؤتمر سان فرانسيسكو بعد الحرب العالمية الثانية للتمهيد لانبثاق هيئة الأمم المتحدة فعقدت الرابطة الأدبية في النجف برعاية عميدها الشيخ محمد علي اليعقوبي ندوة أدبية لمباركة المؤتمر وشاركت فيها بقصيدة تحية في هذه المناسبة ونظمت بعد ذلك قصيدة في تحية الجبهة الوطنية الوليدة في العراق عام ١٩٥٤ ونوابها الذين فازوا في الانتخابات.

❖أنت شعرياً واحد من المؤمنين بالكلاسيكية الشعرية الحديثة فماذا ترى في الشعر الحديث عموماً؟

- حركة الشعر الحديث لم تظهر حديثاً بل نشأت منذ صدر الإسلام وقد شهد الشعر تغييراً واضحاً في البناء على يدي أبي نواس والمتنبي الذي قال: (أكل فصيح قال شعراً متيم؟) وهي أول صرخة تجديد في عصره، وأنا اعتبر الموشحات حركة تجديد كبرى وضخمة ولكنها لم تستمر إلا عدة قرون ثم كادت تندثر حتى أحياها من جديد الشاعر الكبير محمد سعيد الحبوبي وازدهرت على يده ويد الشاعر موسى الطالقاني وفاقت موشحات الحبوبي من سبقوه وأنا أرى أن الحركات التجديدية في الشعر مستمرة وأنا لا استطيع الحكم على حركة التجديد اليوم لعمرها القصير الذي لم يتجاوز القرن إذ بدأت في أربعينيات القرن الماضي ولم يحاربها خصومها بل حاربها مدعو الشعر الذين يرصفون الكلمات رصفاً بدون معنى وبدون موسيقى وأظن أن السياب لو بعث حياً للعنهم الآن فقد شوه حركة التحديث هؤلاء الذين هم من مدعي الشعر الذين لبسوا لباس التجديد زوراً وتزيوا بزي الحداثة وهي بريئة منهم.

❖ماذا تقول في الصحافة الثقافية اليوم؟

- كانت الصحافة الثقافية في فترة الأربعينيات أكثر رصانة وموضوعية في وقت نجد فيه أن الصحافة الثقافية اليوم تطفو عليها السطحية والإسراف في تقليد الغرب، وبرغم إيماني بتلاقح الثقافات العالمية إلا أن لنا مجتمعنا وتاريخنا اللذين لا نستطيع الانسلاخ عنهما وينبغي أن نهتم بهما مثلما يهتم الغرب بحضارته.

❖قضيت أكثر من ٢٠ عاماً مديراً للمدارس الجعفرية الأهلية، كيف ترى واقع التعليم الأهلي اليوم؟

- أنا فخور بالإنجاز التربوي الذي تحقق خلال تلك المدة وطلبتي ينتشرون اليوم في كل العراق في مهن وأعمال شتى وقد غرفوا من نهج مدرستهم وقد كان إلغاء التعليم الأهلي في السبعينيات من القرن الماضي كارثة ومن الواجب إعادته لتحسين تلك المنافسة الطيبة بين التعليم الرسمي والأهلي فقد كنا نحرص على طلبتنا ونتابعهم حتى في بيوتهم وأماكن تجمعهم للإطمئنان عليهم.

وينبغي الآن وضع أسس صحيحة للتعليم عموماً والتعليم الأهلي خصوصاً لكيلا يكون منفلتاً ويشكل مجالاً للارتزاق كما ينبغي علينا أن نعيد للمعلم والأستاذ هيبته وشخصيته.

❖ماذا تتمنى للجيل الجديد من الأدباء؟

- أن يكثروا من القراءة في مختلف فنون الأدب وأنصحهم ألا يتسرعوا بالنشر الذي يدفعهم اليه حب الظهور فالثمرة الناضجة أفضل من الفجة.

❖في كتابك (العروج في ملكوت المتنبي) نوع من الطرح الجديد لأفكار وكشوفات في شخصية هذا الشاعر الكبير وشعره فهل تحدثنا عن ذلك؟

- هناك عدة أمور قمت بكشفها حول حياة المتنبي واسرته منها أن حساد المتنبي أرادوا الانتقاص من قدره فقاموا بتحريف اسم الأب ومهنته فوالد المتنبي الحسين الجعفي لقبوه بـ(عيدان السقاء) وذكروا أن مهنته هي السقاية ثم قالوا أن اسمه (عبدان) ومهنته السقاية والواقع أن الحسين كان دقيق الأطراف فلقب بـ (عيدان السقا) ثم حرفوا (عيدان) إلى (عبدان) و(السقا) إلى السقاء وقالوا أن اسمه هكذا والواقع أنه كان من أشراف القوم وقد أرسل ولده (أحمد) في أحد كتاتيب الأشراف العلويين، من جانب آخر فقد اكتشفت أن بيت شعره القائل:

ما مقامي بأرض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود

إن (أرض نخلة) غير موجودة في الجزيرة العربية وأن الكثير من شراح ديوان المتنبي لم ينتبهوا إلى هذا الغلط الذي هو سهو النساخ والوراقين ولم يذكره إلا أبو العلاء المعري الذي رواه

ما مقامي بأرض (نحلة) إلا
كمقام المسيح بين اليهود

و(نحلة) محلة في الكوفة وهي أيضاً -كما يقول ياقوت الحموي) -نحلة هي واحدة من النحل قرية بينها وبين بعلبك ثلاثة أميال) إضافة إلى اكتشافات أخرى أرى أن يطلع القارئ عليها.

ذكرى الغدير

الدهر باسمك وقع الألحانا
وهفا لذكرك مطرباً جذلانا

وهززته بعلا مزاياك التي
قد صار فيها هائماً ولهانا

قد أسكرته من غديرك نهلة
هو ما يزال بطعمها نشوانا

وعبقت فيه نفحة قدسية
يستاف منها الروح والريحانا

وفتنته بصفات ذاتك فانبرى
يهوى جمال صفاتك الفتانا

وسكبت فيه من سنائك شعلة
وقادة، أضحى بها مزدانا

فرأى بشخصك صورة علوية
كانت لكل فضيلة عنوانا

إن كنت في علياك مبعث نوره
فلقد رآك لعينه إنسانا

❖❖❖❖

يوم الغدير؛ وما أرقك نغمة
قد عطرت مني فماً ولسانا

لجلالك الأيام تعنو هيبة
لما طلعت، فما أجلك شانا

أطلعت شمساً للهداية ضوؤها
للحق يهدي التائه الحيرانا

وقد انجلى حلك الليالي، إذ بدا
فجر به نور الإمامة بانا

وجرى غديرك سلسبيلا سائغاً
يسقي، فيروي العاطش الظمآنا

ومن الإمامة قد فتقت براعماً
فاحت، فعطر نشرها الأزمانا

قل للقلوب إذا أضر بها الظما
وتلهبت حباتها نيرانا

هيا انهلي عذب الغدير، فإنه
يطفي الفؤاد اللاهب الحرانا

هل يشتكي صادي الحشا ظمأً، إذا..
.. استسقى السحاب العارض الهتانا

❖❖❖

يا خائض الغمرات يقحم لجها
بمواقف تدع الشجاع جبانا

لم يشهد التاريخ مثلك فارساً
بطلاً، واثبت في الخطوب جنانا

اليوم ألبسك الإله بلطفه
تاجاً، أدان لمجده التيجانا

تاج الإمامة قد تلألأ نوره
يزهو، فعم سناؤه الأكوانا

فاليوم عيد تحتفي الدنيا به
طرباً، فتقتطف المنى ريانا

في بيعة للحق أوجب عقدها
أمر الإله، فلاقت الإذعانا

هذا هو القرآن ينطق معلناً
في فرضها، فتبينوا القرآنا

هي بيعة كالشمس في رأد الضحى
من يستطيع لنورها كتمانا

خلدت مع الأيام، رغم حواسد
راموا لها ولمجدها نكرانا

من ديوان (من نفحات الإمامين علي والحسين)

تغار منك العذارى

يا دلالاً عن وصفه الشعر حارا
وجمالاً تغار منه العذارى

تتمنى السماء لو تتحلين...
... بزهر النجوم منها سوارا

والزمان اشتهاك فيه ربيعاً
يانعاً، منك يقطف الأزهارا

وتود الأوتار لو كنت لحناً
شاعرياً يداعب الأوتارا

وتود الأشعار لو كنت فيها
نغمات تراقص الأشعارا

(من ديوان.. وأنت أغلى)

أعيتني الطلاقة

ما لي فقد أعيت لساني...
... عند رؤيتك الطلاقه

وأنا الذي تتحدث الركبان...
... عني باللباقه

فلقد ذهلت بما رأيت...
... عليك من سحر الأناقه

وأسرت قلبي ما تململ...
... حين أحكمت وثاقه

لو حاول السلوان عنك...
وعن هواك، لما أطاقه

فملكتني فيما امتلكت...
... من الأنوثة والرشاقه

وسقيتني كأس الهوى
عذباً، فما أحلى مذاقه

ورأيت في عينيك فجراً...
.. كنت أرتقب انبثاقه

ووجدت حبك في الهوى
ديناً، فأحببت اعتناقه

من ديوان (على مرفأ الجراح)